13 me Année No. 607

Lundi - 19 - 2 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإداره

العـــدد ٦٠٧ « القاهرة فى يوم الإثنين ٦ ربيع الأول سنة ١٣٦٤ — الموافق ١٩ فبراير سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

الرباط المقـــدس

الأستاذ عباس محمود العقاد

الرباط المقدس هو اسم رواية جديدة من قلم صديقنا الكاتب الفنى الموهوب الأستاذ توفيق الحكيم -

والرباط المقدس هو رباط الزوجية

والتقديس يقترن فى الذهن بالتحريم ، والتحريم يقترن فى الذهن بالاغراء ، وهذا هو المعنى الذى فصله الأستاذ الحكيم فى هذه الرواية أجمل تفصيل ، وانتقل به خطوة خطوة بل همسة همسة من الوفاء إلى الاباحة فانساق معه القارىء فى رحلة نفسية طبيعية لاجفوة فيها ، لأنه لم يسه فيها عن لمحة واحدة من اللمحات التى تتحول بها النفس من شعور إلى شعور ومن عزم إلى عزم ومن عمل إلى عمل ، فاذا هى بدايات تنتهى إلى غاية بعيدة لن ينظر إلى الطرفين الأقصيين ، ولكنها لاتلوح للقارىء المتتبع إلا بداية بعد بداية لا يفرقهما قيد شعرة من خطرات الضمير .

وخلاصة الرواية أن فتاة تزوجت رجلا يكبرها ولكنه يناسبها فى عمرها ، وكان الرجل من قراء الكتب وعشاق الثقافة ، فأحب أن تشاركه زوجته فى مسراته الفكرية ، واحبت هى أن ترضيه فقصدت إلى كاتب معروف — راهب المفكر — لتسترشده فى تربية ذوق القراءة والأدب عندها ، وشعر زوجها بأثر هذه الزيارة — وإن لم يعلم بها — فذهب إلى راهب الفكر أيضاً ليشكر له إقبال زوجته على قراءة كتبه ومشاركته فى متعة فكره ، ثم انقطع مابين راهب الفكر وبين الزوجين حتى خطر لراهب الفكر يوما أن يعزل الناس فى بعض الفنادق الخلوية فاذا به يلقى الزوج مع ضابط من أقربائه وهما قلقان مضطربان ، ثم يعلم جلية الأمر فاذا بالزوج قد عثر فى بيته على كراسة حمراء تنطوى على مفكرات خاصة كتبتها زوجه واعترفت فيها بعلاقة غرامية بينها وبين ممثل من ممثلى أدوار الغرام على اللوحة البيضاء ، وأشارت فيها إلى غوايات فتاة أخرى هى زوجة ذلك الضابط القريب . فأخذ الضابط القريب يشك فى ذريته من تلك الفتاة ويستعيد حوادثها التى كانت فى أوانها موضع ريبة لايفهمها . ثم توسط راهب الفكر بين الزوجين فأخفقت الوساطة وأوشك الراهب أن يقع فى الفتنة لولا دقات جرس التليفون ، ثم افترق الزوجان وضاقت الدنيا بالضابط فأطلق النار على نفسه ، وثاب الراهب إلى صومعته كما كان .

هذا مجمل سريع للقصة لا يغنى شيئاً عن تفصيلها ، لأن هذا التفصيل هو المقصود وليست الحكاية لذاتها ، وفى هذا التفصيل تتجلى قدرة الكاتب الفنان على تصوير لفتات النفس ووساوس الضمير والانتقال بها من عصمة الوفاء إلى إباحة الخيانة

فى خطوات قصار لايشعر بها المتتبع لها إلا وقد شارفت نهايتها القصوى .

وأقوى مايكون هذا التسلسل فى ضمير بطلة الرواية وفى ضمير راهب الفكر نفسه ، ثم فى ضمير الرجلين المتزوجين .

فالزوجة ـ بطلة الرواية ـ مثل صادق للفتاة العصرية التى تنعم بدفء الزوجية فلا يستقر لها قرار أو تحترق بالنار ، لانها تلمح وهج النار حولها فى كل مكان فلا تصبر على النظر إليها والدفء بها دون الوقوع فيها .

وراهب الفكر — ولعله مؤلف الرواية — مثل صادق للرجل الذى يعيش بين الصومعة والحياة فيأخذ من الحياة للصومعة ويأخذ من الصومعة للحياة ، ولكنه يحفل من هذه كلما حرفته عن تلك ، ولا يرى فى إحداهما غنى عن الأخرى .

وأصوب مايقال فى شرح هاتين النفسين أنهما دراسة فنية تحليلية من الطراز الأعلى ، ولو لم تكن فى القصة إلا هذه الدراسة لكفى بها مادة حية وزادا شهيا لمن يولع بدراسات الفن والتحليل .

أما وضع القصة فهو مع تشويقه واستطراده تقل فيه الروابط الطبيعية التى تمسك أجزاءها وتحل فى محلها روابط من عمل التأليف تأتى بها المصادفة ولايستلزمها السياق .

مثال ذلك أن الفتاة — بطلة الرواية — تقصد إلى المؤلف لأنها مغلقة النفس من ناحية الأدب والتفكير ، قد عيت بطبعها وعىّ بها زوجها فى رياضتها على القراءة فضلا عن الكتابة .

ولكننا نسمع إلى حوارها مع راهب الفكر فاذا هى تساجله فكرة بفكرة وفطنة بفطنة وبراعة ببراعة . فتقول له مثلا إذا تمنع من رؤيتها فى ملعب التنيس : « ... يجب أن تهبط إلى ملعبى لترتفع بى . هكذا يفعل الأنبياء دائما . يهبطون إلى الناس حتى يستطيعوا بعد ذلك أن يصعدوا بهم إلى السماء . ولم يحدث قط غير ذلك . ولا تنتظر أن أصعد أنا إليك توا بغير أن تهبط أنت إلى وتأخذ بيدى ... »

ثم نقرأ كلامها فى الكراسة الحمراء فاذا هو كلام أديب وصافة لا تفوته خلجة من خلجات الوهم ولا لفتة من لفتات الملاحظة ، ويبدو عليها أنها أستاذة فى هذا الفن وليست بالتلميذة الناشئة التى تتعثر فيما تحس وفيما تقول .

فمناسبة اللقاء هنا بينها وبين راهب الفكر ضعيفة ، وأضعف منها سبب التعارف بينه وبين زوجها ، لأنه ذهب إليه يشكره على اهتمام زوجته بقراءة كتبه ، ولم تكن بينهما رابطة تدعوها إلى اللقاء غير هذه الرابطة ، ومنها استحكمت الصلة بينهما حتى أطلعه الزوج فجأة على سر بيته وبيوت أقربائه .

وفى الرواية صفحات طوال عن النساء اللواتى يحسبن مثلا فى التاريخ للزوجات الوفيات . وكل مناسبتها فى سلب الرواية أن راهب الفكر كتبها إلى طيف الفتاة بعد لقائها واشتغاله بأمرها وهو ينوى أن يطويها عنها ولا يطلعها عليها . وقليلا مايخطر على البال المشغول بامرأة فى عصمة رجل آخر أن يجعل أحلامه كلها بقديسات الوفاء الزوجى . وهو يكتبها لنفسه ولا يقصد بها عظة الفتاة وتعليمها .

وتشيع فى الرواية مناسبات المواقف ومداخل الشخصيات من هذا القبيل ، ولكنها ملاحظة على الشكل لاتنفذ الى جوهر الموضوع ، ويبقى بعد ذلك أن صفحات الرواية جميعها مادة قراءة فنية تحليلية قليلة النظير فى أدبنا الحديث ، بل فى كل أدب حديث ، وهى مما يعرض للمقارنة بينه وبين ثمرات الأقلام التى تجود بها قرائح الممتازين من أدباء الغربيين فى هذا الجيل .

ويلحق بهذه الملاحظة الشكلية هفوة هنا وهفوة هناك من هفوات اللغة المطروقة كساق فى موضع سوق ونسوى فى موضع نشوة وتعدية الأفعال بغير حروفها أو فى غير مواضعها ، وهى جد قليلة فى أكثر من ثلثمائة صفحة من الحرف الدقيق .

ولكن الملاحظة التى تدخل فى جوهر الموضوع هى الملاحظة التى تدور على حدود الوصف « المكشوف » فى الروايات والكتب عامة .

فالاستاذ توفيق الحكيم من أغنى الكتاب القاصين عن اثارة التشويق والتطلع بالافاضة فى تصوير الغرائز التى لا حاجة الى تصويرها ، لأنه يملك زمام التشويق بوصفه لأزه خواطر الفكر وأرفع سبحات الروح ، فلا حاجة به الى تنبيه الغرائز فى زمن شكواه الكبرى فرط التنبه فى غرائز أهله .

ولهذا وددنا لو خلت الرواية من صفحتين أو ثلاث لايضطرنا السياق إلى إثباتها ، وإن ذلك لخليق بالكاتب المتحرج الذى وصل الى الفتنة فدق للنجاة منها جرس التلفون ... لكيلا يسمح لغريزته أن تنطلق الى مداها .

على أن صديقنا الأستاذ كما أسلفنا متردد بين عتبة الصومعة